



العودة الى جذور الهوان العربي... كتاب لرينييه نبعة يشرّح المأساة العربية (2 من 2)

الوهابية من دعائم النظام السعودي لكنها في طريقها للسقوط والقيم الامريكية تهدف للسيطرة على العالم

زمن النفاق العربي - الغربي.. صقور بلا انياب.. وثوار ركبوا القطار الامريكي وبعصقوا على ماضيهم

عرض؛ شوقي أمين*

الوحوش المقدسة العربية.. النسخة الجمهورية

ثمة رومان عربيان، في رأي الكاتب، تم تقديسهما بالرغم من حصيلتهما الكارثية على غرار زملائهما في ليبيا والعربية السعودية والأردن والمغرب، ويتعلق الأمر بحافظ الأسد في سورية وصادق حسين في العراق، اللذين أسسا قاعدة لحكيمهما تعتمد اساسا على الجماعة، والطائفة وحزب البعث والجيش، فكلهما منتشران بفاكر البعث حتى النخاع، ويعتبران اكبر المدافعين عنه، ذلك ان البعث يجمع بين الايديولوجيا العلمانية والاشتراكية في نفس الوقت وهذا استطاعا ان يكرسا سلطتهما على مدى عقود، وبيروا في ظل الغروب الناصري في عملية بحث حثيثة لخلافة القائد عبد الناصر، ولعل هذا كل ما يجمعهما، لا أكثر. الشخصان مختلفان جملة وتفصيلا، وتباعد البيعت يجمع بين الايديولوجيا العلمانية والاشتراكية في نفس الوقت وهذا استطاعا ان يكرسا سلطتهما على مدى عقود، وبيروا في ظل الغروب الناصري في عملية بحث حثيثة لخلافة القائد عبد الناصر، ولعل هذا كل ما يجمعهما، لا البالي (صادق حسين) وبسمازك السوري (حافظ الأسد)، كما اسماهما، كراهية لا توصف، بسبب خلافاتهما الاستراتيجية والسياسية، التي غدت الجدل السياسي في العالم العربي في الربع الأخير من القرن العشرين، بالرغم من انه لو تم التوفيق بين بلديهما لضمنا بكل تأكيد منطقة منسجمة تمتد من الخليج العربي الفارسي الى المتوسط، مما كان سيساهم في كسر محور التحالف التركي الإسرائيلي، وهما البلدان اللذان بانا يشكلان قاعدة عسكرية قوية لامريكا في المنطقة.

حافظ الاسد طيار عسكري برتبة جنرال. حاول منذ وصوله الى سدة الحكم في 1970، الظهور بمظهر قائد في زي مدني، أما صدام حسين فمناضل عادي في حزب البعث استطاع مع مرور الزمن، الارتقاء الى صفات القادة الكبار في الحزب، وان يقود حربين ضد الجارين ايران والكويت.

بعد هذه الاشارة، استعرض الكاتب محطات تاريخية كشفت من خلالها عن البذور الأولى التي أدت الى تفكك البلاء العربي، من خلال المعارك الوهابية التي خاضها بعض القادة العرب، والايديولوجيات التي قتلت المجتمعات المدنية باسم القيم الديمقراطية والعلمانية والاشتراكية، فبسبب هذا الوهم القومي العربي، يقول الكاتب، سقطت دمشق وبغداد، كما سقطنا في السابق امام جيوش القسطنطينية، وكان نفس السيناريو يتكرر في القرن الواحد والعشرين، فالعراق بات بلدا محتلا تحت المظلة العسكرية الامريكية يقوده رئيس من اصل كردي، بينما باتت سورية تحاصرها مناورات عدة لضرب استقرارها في اية لحظة منذ مقتل رئيس الوزراء السابق رفيق الحريري في 14 شباط (فبراير) 2005، على اساس انها هي من نفذت عملية الاغتيال، وهو ما قادها الى الانسحاب من لبنان مطأطة الرأس، ودون اي مجد يذكر.

القذافي.. دافن القومية العربية

في محطته المغاربية، توقف رينييه نبعة في ليبيا، مسلط الضوء على شخص العقيد معمر القذافي الذي حكم البلاد والعباد منذ 37 سنة خلت، بحيث اعتبره احد من قيروا القومية العربية الى الابد، بسبب تعاطيه مع الفلسفة الامريكية في القضاء العربي، كما يعتبر حليفا موضوعيا لاسرائيل، فيعدا أسطع عائلة السنوسي الحاكمة، محصنة منطقية لهزيمة العرب في حزيران (يونيو) 1967، استطاع خليفة عبد الناصر كما يحلو للبعض ان يسميه، ان يحقق مجدا سياسيا، بعد قيامه بتأميم المنشآت النفطية الأنجلو-امريكية، والقاعدة

الجوية الضخمة (Wheels Air Field) التي اطلق عليها في 1970، اسم احد اكبر الفاتحين المسلمين (عقبه بن نافع)، لكنه سرعان ما فقد صدقيته التي لم يعرف كيف يحافظ عليها، بسبب عنجهيته وشعوره بالعظمة، فقد كان منظرنا بين توجهاته الشرقية، وتوجهاته الغربية، بحيث اعتنق كل اشكال الوحدة التي عرضت عليه، مرة في شكل كونفيدرالية ومرة ثانية في شكل فيدرالية مع مصر والسودان في 1970، ومع البيروقراطيات العسكرية الموالية للاتحاد السوفياتي (مصر سورية، السودان)، ومع مصر لوحدها في 1971 الى غاية ان ولى وجهه شطر المغرب العربي الكبير، بحيث اقام وحدة في البداية مع تونس في 1980 ومع الجزائر، قبل ان يعتنق نهائيا التوجه الافريقي داعيا الى تشكيل قطب افريقي، يضم ابناء القارة السوداء جميعها، دافنا بذلك القومية العربية. غير ان الرجل، حسب الكاتب، صاحب اهواء ونزوات لا تنتهي، بحيث لم يتردد في طرد نحو 200 الف عامل مصري من بلاده، في 1980، لعاقبة الرئيس المصري انور السادات وقتها على مفاوضات السلام مع اسرائيل، ثم يكرر ذلك في 1984، اذ امر بطرد 4 ملايين عامل افريقي، لعاقبة القادة الافارقة على تردهم في تاييد نشاطه الاستراتيجي على محور القارة السمراء، ومن مظهر نزوات القذافي كما يشير الكاتب ايضا، وصفه في 22 آذار (مارس) 2005، في القمة العربية المنعقدة في الجزائر، الفلستينيين والاسرائيليين بالأغبيا، واضعا ايهاهم في سلة واحدة، لعدم توصل الشعبين الى انشاء فيدرالية تحمل اسم (اسراطين) وهو اختصار لدولة اسرائيل وفلسطين، ماسحسا بذلك 50 سنة من النضال الفلسطيني من اجل استقلاله وارضه، ومعلنا عن سحق القومية العربية الى الابد.

هذا القذافي، بتتابع الكاتب، في الوقت الذي تنامت فيه مشاعر الوطنية والقومية في كل من العراق وفلسطين، وفي الوقت الذي شرع فيه رئيس الوزراء الاسرائيلي السابق ارييل شارون، باغتياث القادة الاسلاميين مثل الشيخ احمد ياسين، وعبد العزيز الرنتيسي، ومحاصرة القواعد عرفت المنتخب ديمقراطيا، طيلة ثلاث سنوات كاملة في محله في رام الله، وفي اللحظة التي كان فيها الاربعة العالميين تحت صدمة فضائح سجن ابو غريب في العراق، لم يجد القائد الليبي ما يقوله في تجمع بمدينة سيرت، سوى «ان امريكا لم تكن في يوم من الأيام عدوة لليبيا، وان بلادها عوقبت لتضامنها مع ياسر عرفات ولدفاعها عن قضايا دول العالم الثالث» قبل ان يضيف «ان عرفات نفسه يتودد للاسريكان، ورئيس وزرائه يسكر مع نظيره الاسرائيلي (...). وما على ليبيا اليوم الا ان تسير على خط الولايات المتحدة».

الملكة السعودية... الوجه الآخر للهوان العربي

خصص الكاتب فصلا عن خبايا الملكة العربية السعودية، على اعتبار انها تشكل قاعدة خلفية للرداء العربية، باتت تبدو على شاكلة القذافي الذي دفن القومية العربية وقضاياها النبيلة، قيد مرور 73 سنة، من انشاء المملكة وفي الوقت الذي توفي فيه الملك فهد رجل امريكا في آب (اغسطس) 2005، بعد حكم دام ربع قرن، لم يعد للعالم العربي

التاريخي للولايات المتحدة، وممولها الرئيسي في المنطقة، باتت القادة التي يتم من خلالها الترويج لسياسة، قادت الى تهويد كل الأراضي التي كانت تشكل فلسطين ايام الانتداب البريطاني وهو ما يعارض كما نعلم مع امنية الملك فيصل الذي اغتيل في 1975، للصلاة في المسجد الأقصى المحرر في

القدس. وعندما توقف الكاتب من ناحية أخرى، عند فصول قائمة سواد من مسيرة المملكة سواء على المستوى الداخلي أو العربي أو العالمي، خلص الى القول: ان المعادلة الثلاثية التي قادت الى انشاء الملكة وهي الاسلام - النفط - الوهابية، آيلة على السقوط، ذلك انه اذا كان لا يخشى على الدين الاسلامي من استمراريته، فان النفط آيل لا محالة الى الزوال فضلا عن انه سيفقد قيمته في ظل ابتكار وسائل طاقة جديدة بديلة عنه، كما ان الوهابية ليست قرآنا منزلا وبأنا سنستدبر بدورها، عدا عن ان تقوم الملكة بمراجعة حساباتها، في ان تتعاطى مثلا بكل عقلانية مع الدين، وان تحرص على تكريس مفاهيم المواطنة والحقوق المدنية، وتعيد النظر في مقاربتها لعمال الدولة وأجهزتها، وان تنظر بعين الواقع للعالم العربي، الذي لا يمثله السنة فقط، ولا يمثله المسلمون فقط، أو العرب فحسب بل ثمة مكونات كردية وبيروية وعرب شيعة متشبهون عادة بروح الانتماء العربي، الى جانب وطنيين مسيحيين غير مسلمين مثلما هو الشأن لدى مسيحي الشرق اجمالا، وان لا تنظر بالضرورة الى نفسها على انها ستبقى الدولة الخاضعة الراكعة دائما وأبدا للولايات المتحدة.

في ذات السياق اعتبر الكاتب ايضا النظامين المذكورين في كل من الأردن بقيادة الراحل حسين، والحسن الثاني في المغرب، وجين لعملة واحدة، ظاهريهما حدائث عصري، لكن باطنهما تقليدي متصل.

على صعيد آخر، حرص الكاتب على الاشارة الى الاستراتيجية الاعلامية الامريكية من 1945 الى 2005، ليوكد من خلال عملية استقرائية للاحداث



رينيه نبعة



في 151 دولة، بحيث استطاعت هذه الجمعية ان تجمع في 2005 فقط نحو 8 ملايين ونصف المليون دولار لصالح الدولة العبرية في شكل تبرعات.

صحيفة «القدس العربي»

في سياق حديثه عن وسائل الاعلام العربية، التي خدمت بشكل لافت الاستراتيجية الاعلامية الامريكية، قال ان صحيفة «القدس العربي» الصادرة في لندن تعبر عن نقيص الاعلام العربي المهان، فهذه الصحيفة التي يدبر شؤونها احد اكبر العارفين بالعالم العربي والاسلامي، واحد اكبر المدافعين المخلصين عن القضايا العربية، الذي يتمتع بشخصية ثابتة صلبة، واستقلالية نادرة، وصاحب تحاليل عميقة عادة ما كانت فتاة السببي بي سي، منيرا لها، صحيفة مستقلة بكل المقاييس، هو عبد الباري عطوان، ليس صحافي مكاتب او صالونات، لكنه صحافي ميدان وأحد الصحافيين النادرين الذين التقوا شخصا مع اسامة بن لادن، زعيم القاعدة، اختار لصحيفته اسم «القدس العربي» الذي يحمل في طياته عناصر الوحدة العربية والاسلامية، ويذكر بشكل دائم مطالب العرب والمسلمين المشروعة، كما ان الوظيفة التقديرية التي يمارسها، ورفضه للنظام الدولي الجديد، الذي افرزته حروب القرن العشع عشر، وقراءاته المنقحة والواقعية للاحداث، التي لا يهادن فيها احد، أدت الى عزوف سوق الاعلان الخليجي عن صحيفته، كما اضطر الى الحد من سحب الصحيفة، بيد انه بالرغم من هذا العوق المادي، استطاعت الصحيفة ان تقارع منافساتها المدعومة من النظام السعودي، وتتفوق عليها في حيثة اصدق والمهنية، بل انها حظيت بتأييد اقلام كبيرة مثل الكاتب الراحل الورد سعيد، احد اكبر المفكرين المعاصرين، وهو و لا شك عرفان لهذه الصحيفة التي باتت مرجعية للنخبة العربية في كل المنطقة الأوروبية.

رينيه نبعة ل «القدس العربي»

استكمالا لما جاء في كتابه في اصول التراجيديا العربية، أكد الكاتب والصحافي رينييه نبعة ل «القدس العربي» في مقابلة معه في باريس، أن الأفكار الاستعمارية في فرنسا ما زالت قائمة، ففي 1956 كانت فرنسا قد امرت رفقعة بريطانيا واسرائيل جيشها بالقيام بحملة تاديبية ضد مصر الناصرية لأنها كانت موطن القومية والاخلاص الوطني، ومن المفارقة أن الرئيس شيراك اوصى في بداية الاجتياح الاسرائيلي على جنوب لبنان في حزيران (يونيو) 2006، أي بعد مرور 50 سنة من ذلك، اوصى بتطبيق اجراءات صارمة ضد حزب الله، علما بأنه ليس حزب الله هو من انتهكه القرار الدولي في 1720 بل اسرائيل التي لا تعير اهتماما للقرارات الدولية، فشيراك حسبه قويا ضد الضعفاء، وهي وصمة عار في جبين فرنسا، فلماذا لم يدع شيراك الى معاقبة اسرائيل وهي تضرب عرض الحائط بالقرار الدولي 1720؟

في هذا السياق، شد رينييه نبعة، على ضرورة ان يتنبه العرب الى ان فرنسا ليست صديقا لهم، وهو خطأ كبير، واعتقاد خاطئ تماما، وهو وهم كرسه اللوبيات النفطية، والجمعات المتاجرة في السلاح، لتسهيل صادراتها في مجال الاسلحة باتجاه المنطقة العربية لا أقل ولا أكثر، بدليل أن فرنسا ان هي ابدت انفتاحا على الدول العربية (بالأحرى على أسواقها النفطية)، غير انها بقيت متغلقة حيال مواطنيها من اصول عربية، وهي ازواجية مارتستها وما زالت تمارسها حتى اليوم، وعليه فانه اذا كان يجب تطبيق عقاب دولي، فسيكون دباهة ضد العرب، مما يعني أنه يوجد هناك لوبي اطلسي قوي في فرنسا، وينم في نفس الوقت عن تكلس فرنسا في تعاطيها مع التحولات التي عرفتها في فترة ما بعد استقلال مستعمراتها السابقة، كما ان هذا التعاضن عن الحقائق الجديدة هو ناتج عن الهيمنة الاقتصادية الامريكية فمعظم الشركات الفرنسية الكبرى تملكها رساميل امريكية بنسبة 40 بالمئة، فضلا عن النشاط الكبير الذي تقوم به الشركات الاطلسية، التي تعتبر ايضا حلقة من حلقات اللوبي الامريكي-الاسرائيلي، كما يفعل نيكولا ساركوزي الذي يعتبر احد اكبر المدافعين عنه، اذ ليس من الطبيعي، أن يختار هذا الرجل (ساركوزي) العلماني، مستشارا له للنظر في موضوع تسوية اقامة المهاجرين، جنديا احتياطيا في الجيش الاسرائيلي هو أرنو كارسفيلد، ذلك ان هذا الأخير ليس يهودي لان أمه ليست يهودية، انما اعتنق اليهودية عن طريق والده، الأمر الذي سمح له بطلب الجنسية الاسرائيلية، والغريب ان من الشروط الأخيرة التي وضعها مع ساركوزي لتسوية اقامة اطفال المدارس المهاجرين، هو ان لا تكون لهم علاقة مع البلد الأصلي!

في اللحظة اللبنانية، قال نبعة، لماذا كل هذا اللغط والشطط على سورية؟ مقرا في ذات الوقت بشرعية النقد حيال سورية مؤكدا انها ارتكبت اخطاء قاتلة، ولكنه استهجن هذا التركيز المتعدد في الهجوم على سورية، دون أن يدين أحد الفساد الفاضح المستشري في لبنان، فلا يوجد هناك انتقاد واحد ضد رفيق حريري، الذي لغم الحياة السياسية برمتها في نظره، كما لم نسعم اية ادانة او انتقاد لأرييل شارون الذي اغتال بغير وجه حق منتها كل الموثيق الدولية، الشيخ احمد ياسين وعبد العزيز الرنتيسي وآخرين كثيرين، مضيفا ماذا لم يتحرك المجتمع الدولي ضد انتهاكات سجن ابو غريب، القادر فقط على سورية؟

امام هذا الظلم المنهجي المطبق ضد منطقة الشرق الأوسط، يرى رينييه نبعة ان بروز ايران كلاعب محوري فيها امر بالغ الأهمية، مفيدا في ذات المنحى، بان امتلاك ايران للقنبلة النووية بات ضرورة قصوى، لسبب بسيط جدا، وهو أن سياسة المفاضلة التي تطبيقها القوى العظمى لحظر انتشار الاسلحة النووية، سياسة جائرة بكل المقاييس فلماذا تفض الطرف عن بلدان تملك فعلا القنبلة النووية، وتشن حملاتها دون هوادة ضد أخرى؟

وما من شك في أن توصل ايران الى صناعة

قنبلتها النووية سيقلل من حدة الغطرسة الاسرائيلية، وسيساهم بشكل كبير في احداث توازن في المنطقة بما فيه التوازن في امتلاك السلاح النووي، كما ان حق مصر في اكتساب ترسانة نووية مشروع ايضا في هذه المنطقة الحساسة والحيوية من العالم، لأن التسليم بضعضة وهواننا، وتكريس قوة واحدة في المنطقة سيجعل كل العالم العربي تحت المظلة الاسرائيلية، فهل يعقل ان يتم اجتماع وزراء الخارجية العرب في لبنان تحت مراقبة اسرائيلية، ولا يسمح لطائرات سيادية يعبور الفضاء اللبناني بدون ترخيص من اسرائيل؟ هذا غير معقول؟ اين هي النقوة العربية والشهامة؟ ارفع راسك يا اخي، كما قال عبد الناصر، فنحن لسنا شعبا يتباكي، كما فعل السنويورة، لسنا في حاجة الى حائط مكي، ومن أراد ان يبحت عن حائط للجكاه فمكانه معروف.

نحن العرب، قال نبعة، معركتنا هي من أجل الكرامة، ومن أجل ان يستعيد الفضاء العربي من المحيط الى الخليج، شرفه وسيادته وحريته المسلوبة، ونقطع مع عسادات بعض الأثرياء السعوديين الذين يصرفون أموالا طائلة على القمار في كازينوهات أوروبا كما فعل احدهم، لا يزيد ذكره الآن في كازينو في امانة موناكو، اذ خسر في ليلة واحدة 28 مليون دولار، وهو مبلغ كما ترى باكتانه أن يساهم في توفير ادنى ضرورات الحياة لكثير من الفقراء العرب في القرى والأرياف، وبناء عسرات المدارس، بدل تلك المدارس التي يصرف عليها متطرفون اسلاميون.

بالنسبة لرينييه نبعة، لا مجال للمقارنة بين نصر الهة المقاومة، الذي تنشط بنار المعارك وبين المعاصرة اللبنانية له التي كانت تتبرجح في صالونات التجميل والحمامات الاستشفائية وقاعات السونا والرياضة، فشتان بين نصر الله الذي فقد احد ابناءه في المعارك وبين معارضيه الذين يظفون تصريحات نشازا بين الفينة والأخرى.

أيمن الظواهري والسعودية وجمال الدين طالباني وسورية وصادم

في خضم هذا الخراب العربي، تساءل رينييه نبعة، عن العلاقة المريبة كما اسمها بين الاسلام السياسي والولايات المتحدة بظاه سعودي، فأيمن الظواهري الذي بات مغضوبا عليه اليوم استفاد من اللجوء السياسي في سويسرا، وسمح له بالتنقل في أوروبا بحماية سعودية، ثم جلال الدين طالباني، الزعيم الكردي، ورئيس العراق الحالي، الذي استفاد من خدمات سورية، وسافر عبر اصقاع العالم بجواز دبلوماسي سوري طيلة الثلاثين سنة الماضية، هو نفسه من يصبق على سورية اليوم، بالإضافة الى أن الرئيس صدام حسين كان قد انقذه مرتين من حبل المشنقة، وهو من سيقع على وثيقة اعدامه.. هذا ان، ردد نبعة مختسرا، هو زمن النفاق العربي الغربي.

جلال الدين طالباني، كان شيوعيا، أكد نفس المتحدث، قبل ان ينضم الى الحركة القومية السورية ضد النظام العراقي الفاشستي، ومستقيما من وثيقة سفر سورية رسمية دبلوماسية، أول ما قام به هو تبني اول علم عراقي ما بعد صدام حسين، مشابه لدرجة كبيرة مع العلم الاسرائيلي! من مظاهر النفاق الأخرى في هذا العالم البوء على حد وصفه، ذكر نبعة، بأنه عندما قررت روسيا الانضمام الى قوات تحالف حرب الخليج الامم خصصت السعودية مبلغ 4 مليارات دولار كسعادة مباشرة لروسيا، في الوقت الذي ارسلت فيه طائرة معبأة بنسخ القرآن الكريم الى النيشان، من اجل اضعاف روسيا التي قوضت عن آخرها في مرحلة ما، على الأقل من الناحية الاستراتيجية كدولة عظمى. في هذا المقام فتح نبعة قوسا قال فيه، لماذا هذا التعاطي مع الغرب؟ بل لماذا هذا التبيج بلبع دور دولي؟ داعيا السعودية الى الاهتمام بليبيا على اول، والبيت الفلسطيني، صنو البيت العربي، مستهجنا هذا النزوع التلقائي نحو سياسة الانبطاح، فلا يقل هذا التحامل على حزب الله، الصامد العربي الوحيد الى جانب ابناء الشعب العراقي.

في نهاية المطاف، أوضح الكاتب في حديثه أن كتابه جاء ليحمل كل جهة مسؤوليتها في هذا الهوان العربي، بما فيها وسائل الاعلام خاصة الصحف العربية الكبيرة التي تستجيب للمصالح الامريكية، كما جاء ليضع الامور في نصابها، حتى لا يسمى كل قتيل شهيدا، فالشهيد كما قال هو من يمنح حياته من اجل قضية كبرى، من اجل بلاده، لذا قال نبعة انه اهدى كتابه الى كل شهداء العالم العربي الحقيقيين من أمثال العربي بن مهيدي وعلى لاويانث في الجزائر، وناصر السعيد في السعودية، وعبد الحسن سعدون في العراق الذي انتحر في 1931 للتكفير عن توقيعه بأمر من الملك على ميثاق مع الانكليز اعتبره اهانة لأهل العراق، ورشيد علي الكيلاني، وعبد الكريم قاسم وعبد الخالق السامرائي في العراق، والي معروف سعد وكمال جنبلاط في لبنان والامام موسى الصدر والصحافي ضيف الغزال في ليبيا ومهدي بن بركة وعمر بن جلون في المغرب وسعيد همامي، وعز الدين خلق وخليل الوزير (ابو جهاد) وكمال ناصر وغان كنفاني في فلسطين وعبد الخالق محجوب والعقيد هاشم العطا في السودان.

رينيه نبعة: اعلامي وباحث فرنسي من اصل لبناني، عمل في وكالة الانباء الفرنسية، وكان مستشارا سابقا للمدير العام لراديو مونت كارلو، ولديه بحوث وكتب في مجال الابحاث الجيوسياسية، ويعيش في باريس

René Naba
Aux origines de la tragédie arabe

* مراسل «القدس العربي» في باريس